شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد ...

كنا قد وقفنا في الدرس السابق عند قول المؤلف –رحمه الله تعالى–: (**وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ**)، ومر معنا معنى الإلحاد، وأنه يشمل الإلحاد في الأسماء، ويشمل الإلحاد في الآيات، وقصد به هنا على وجه الخصوص إلحاد الأسماء؛ لأنه الأخص والمتعلق بما نحن بصدده، والله تعالى يقول: ي ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومن الإلحاد: ترك دعاء الله –سبحانه وتعالى– بهذه الأسماء، **ومن الإلحاد كذلك**: تسمية المشركين لآلهتهم بالأسماء التي هي لله –سبحانه وتعالى–، فاللات من الله، والعزة من العزيز، ومناة من المناء، وكل هذا [٥٣:٠١] في الإلحاد.

أهل السنَّة لا يلحدون في أسماء الله، ولا يلحدون في آياته، ولا يكيفون الله –سبحانه وتعالى– كذلك، **والكيف معناه**: اعتقاد الكيفية أو اعتقاد كيفية صفة معينة، وهنا يبين –رحمه الله تعالى– مفارقة أهل السنَّة لأهل الكتابين اليهود والنصارى؛ لأنّ اليهود والنصارى ألحدوا في أسماء الله وآياته أو كيفوها أو مثلوها، [٣٦:٠٢] إلى اليهود والنصارى؛ لأنّ كل بدعةٍ [٤١:٠٢] المبتدعون المنتسبون إلى الإسلام غالبًا لها أصول عند أهل الكتابين.

كقضايا الاعتقاد مثلًا في الأسماء والصفات نجد أنّ اليهود قد سبقوا إليها، فقال اليهود فيما يتعلق بالله تعالى ﴿**قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾[آل عمران:١٨١]، فعقلوا الله –سبحانه وتعالى– عن صفةٍ من صفاته، والنصارى نسبوا لله ما لا يكون [١٨:٠٣] وأنّ الملائكة بنات الله، [٢٢:٠٣] والمشركون أكبر والنصارى سموا الله –سبحانه وتعالى– [٢٧:٠٣]، فهذه الملل السابقة غالبًا كل انحرافٍ أو بدعة لا بُدَّ أنْ يكون ملحظها وأصلها مأخوذٌ عن هؤلاء، أهل السنَّة لا يلحدون ولا يكيفون ولا يمثلون بصفات الله تعالى بصفات خلقه.

قال المؤلف: (**لأَنَّهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ**)، وهذا التعليل تعليلٌ مهم يعني أنّ أهل السنَّة لا يمثلون لا يعطلون لا يكيفون؛ لأنّ الله –سبحانه وتعالى– لا سمي له، لا مثيل له يُقاس به خلقه، فلذلك ما أثبته لنفسه نثبته له، وما نفاه عن نفسه ينفونه عنه، وهنا أراد شيخ الإسلام بهذا التعليل أيضًا أنْ يبطل محترزات أهل الباطل من المتكلمين والفلاسفة والجبرية والمعتزلة إلى آخره.

ما هي محترزاتهم الباطلة؟ محترزاتهم الباطلة أنهم يقولون: أننا إذا أثبتنا الصفات لله تعالى فإننا نشبه الله بخلقه، فبالتالي المخرج من هذا المأزق أنْ ننفي الصفات، فوقعوا أولًا: في نفي الصفات وقبل نفي الصفات وقعوا في التشبيه،

ولا أدري ما هو داعي التشبيه هنا، شيخ الإسلام نسب لهم هذه المقدمة، فبيَّن في ثنايا كلامه أنّ الاشتراك في أصل المعنى لا يدل على الاشتراك في كل المعنى، وإنَّما هناك قدر معين يشترك فيه الخالق والمخلوق.

ولذلك حتى لما عبر بقوله: لا تمثيل ولم يعبر: لا تشبيه، فهذا تعبيره أدق من التعابير التي يستخدمها غيرهم، فالكثير من كتاب أهل السنَّة [٠٥:٤٠] يقولون: نثبت لله ما أثبته دون تشبيه ولا تعطيل ولا تكيف، أما شيخ الإسلام [٠٥:٤٩] بدون تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]؛ لأنّ التشبيه قد يقع الحد الأدنى من التشبيه وهو أنْ يشترك الخالق والمخلوق في أصل المعنى، هذا لا ينكره أهل السنَّة.

الله حي والمخلوق حي، الله له يد والمخلوق له يد، لكن الذي ينفيه شيخ الإسلام وأهل السنَّة أيضًا الاشتراك في [٠٦:٢٢] الصفة، في حقيقتها، في كيفيتها، في [٠٦:٢٩] من كل وجه، هذا باطل ولا يمكن أنٍ يقول به أحد.

فالله إذًا لا كفء له، لا ند له، لا سمي له، ولا نظير له، والكفء والسمي و [٠٦:٤٥] في القرآن متقاربة في المعنى قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:١٦٥].

هي متقاربةٌ في المعنى، لكن عند الكل التفسير لكل واحدٍ منها معنى خاص، وهنا قاعدة مهمة جدًّا وهي حين قال: (**وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ**)، هذه القاعدة التي يقررها هنا مفادها أنّ الكلام في الصفات كالقول في الذات، وهذه القاعدة [٠٧:٣٥] معناه: أنه كما أنّ ذات الله لا يشبهها شيءٌ من الذوات، فكذلك صفات الله لا يشبهها شيءٌ من الصفات.

كذلك الكلام في الأسماء فرقٌ عن الكلام في الذات، الكلام في الأسماء كالقول في الذات، كما أنّ الله –سبحانه وتعالى– له ذاتٌ لا تشبهها الذوات، فله أسماء لا تشبهها الأسماء، وهذه قاعدة مهمة جدًّا وهي ردٌ على هؤلاء الذين تهكوا في نيل أعناق النصوص حتى ينزلوا الله –تبارك وتعالى–، فأخلوا الله –سبحانه وتعالى– عما أثبته لنفسه.

قال: (**وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**).

إذًا ذكر العلة الأولى لإثبات ما أثبته لله –سبحانه وتعالى– من الأسماء: أنّ الله –سبحانه وتعالى– ليس له شبيه.

– **والعلة الثانية**: أنّ الله –سبحانه وتعالى– لا يُقاس بأحدٍ من خلقه، هنا نسف لمبدأ أهل الباطل أهل الباطل الذين ينفون السبب هذا الذي عندهم أنه قام بأذهانهم القياس، فلما قاسوا الله بخلقه أرادوا أنْ ينزهوه فوقعوا في التعطيل، دائمًا المقدمات الباطلة ينتج عنها مخرجاتٍ باطلة.

[٠٩:٤٠] يقول: (**لاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**)، هذا نسفٌ لأصلهم، ما هو أصل هؤلاء المتكلمة؟ أصلهم أنهم يقولون: ننفي عن الله تعالى ما يقتضي العقل نفيه، ونثبت لله تعالى ما يوجب العقل إثباتًا، فهنا يسرون إلى قضية أكبر وهي أنّ [١٠:١٢] مصدر التلقي وهو الكتاب والسنَّة، واتخذوا مصدرًا للتلقي آخر لم يأتِ به لا الكتاب والسنَّة في باب العقائد.

الله -سبحانه وتعالى- غيب، بل هو من أعلم الغيب -جل وعلا-، ولا يمكن أنْ نعرفه ذاتًا، ولا أنْ نعرفه صفاتًا، ولا أنْ نعرفه أسماءً، ولا أنْ نعرفه أفعالًا إلا من **طريقين اثنين**:

-إخباره -سبحانه وتعالى- عن نفسه.

- أو إخبار الأنبياء والرسل عنه [١١:٠٢]؛ لأنّ كلامه وحيٌ يوحى وليس منطوقه من العلم [١١:١١].

وعليه إذا ثبت عندنا أنّ هذا هو مصدر التلقي القرآن والسنَّة، فإنّ كل المصادر التي بعد ذلك تُطرح، ومن المصادر التي اعتمد عليها أهل الباطل العقل، فأثبتوا لله بزعمهم ما يقتضي العقل أو يوجب العقل إثباته فيما يسمونه هم واجب الوجود، لهم أسماء لله -سبحانه وتعالى- ويسمونه القديم واجب الوجود، أسماء حتى لم يأتِ بها نص القرآن، ولا يخفي عند التحقيق بشيءٍ من النقص، عدول عما اختاره الله لنفسه [١٢:٠٠] هم.

فشيخ الإسلام لما قال: (**ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ -سبحانه وتعالى-**)؛ نسف أصلهم من أنّ العقل هو الذي يثبت وينفي، لماذا يا شيخ الإسلام؟ قال: (**فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**)، فلما كان أعلم بنفسه كان -سبحانه وتعالى- هو المتحدث عن نفسه، هو الذي [١٢:٣٠] لنا نفسه، وهو الذي وصف لنا نفسه -سبحانه وتعالى-، وهو الذي سمى لنا نفسه؛ لأنه أعلم العالمين بنفسه، وهو أيضًا أعلم بغيره.

أعلم بنفسه عرفنا أنّ الله -سبحانه وتعالى- يكون أعلم بنفسه؛ لأنه أعلم بنفسه، لماذا أدرج شيخ الإسلام كلمة (**وَبِغَيْرِهِ**)، ما المراد بإدراجها هنا والحديث عنه -سبحانه وتعالى-؟ ما في حشو في حقيقة متن العقيدة الواسطية، والعبارة التقها شيخ الإسلام [١٣:١٠] ورد عنه أنه كتب هذه الرسالة بعد صلاة العصر يعني على وجه السرعة، قوله: (**فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**)، المعنى: أنه [١٣:٢٤] حدثنا عن صفاته وهو يعلم -سبحانه وتعالى- أنّ المشترك اللفظي في هذه الصفات قائمٌ به وقائمٌ بخلقه، فإنه -سبحانه وتعالى- لو كان يقع من كلامه ما يحدث اللبس لما حدث عن نفسه بما يقع من خلاله اللبس.

يعني أريد الذي أقوله أنّ اللبس إنَّما حصل من ذات أذهان هؤلاء، وإلا فكلام الله -سبحانه وتعالى- عن نفسه لكونه أعلم بنفسه وأعلم بغيره كلامٌ متسق، وكامل من كل وجه وليس فيه أي شبهة إبهام أصلًا، حين يحدثنا الله -سبحانه وتعالى- عن أنّ له يدين، ويحدثنا عن أنّ الخلق أو بعض الخلق لهم يد.

إذًا هذا المشترك لا يقع إلا عند مَن وقع في نفسه آفة أنه يقتضي التمثيل.

فالإنسان السالم الذي على الفطرة لو قيل [١٤:٤٧] أو للخالق بصر وللمخلوق بصر، لما اقتضى هذا أنْ يكون أن بصر المخلوق مثل بصر الخالق، لكن لما قال في الشبهة وقع عنده هذا.

إذًا هو يقول: (**ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ، فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَهو أيضًا أَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا**).

قال الله تعالى عن نفسه: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[النساء:٨٧]، وقال عن نفسه: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾[النساء:١٢٢]، فالله -سبحانه وتعالى- جمع بكونه أعلم بنفسه وبغيره، وبكون حديثه صدق، وبكون حديثه حسن، فحديثه صدقٌ في الأقوال وعدلٌ في الأحكام، مع قيام هذه الصفات كلها كان ذلك مستلزمًا أنْ نؤمن بما وصفه الله به نفسه دون أنْ يقع في أذهاننا شيءٌ من هذا الخطأ الذي وقع في أذهان أهل الباطل.

قال شيخ الإسلام: (**ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون، بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ**).

لما انتهى من بيان أنّ الله -سبحانه وتعالى- أعلم بنفسه، وأنّ الله -سبحانه وتعالى- صادقٌ في حديثه، أخبر أيضًا أنّ الرسل صادقون، وهو هنا يريد أنْ يقرر لنا مصادر التلقي كما أسلفت، مصادر التلقي في باب الصفات والأسماء كلام الله وكلام رسوله، الله كلامه صدق وكلامه أحسن الحديث، ورسله صادقون فيما يخبرونه عن ربهم -جل وعلا- ومصدقون أيضًا.

فبالتالي تمت مصادر التلقي على أكمل وجهٍ، فلم يبقَ لأحدٍ حجة أن يضل في هذا الباب بعد البيان وصدق الله ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[الإسراء:١٥]، هؤلاء الرسل صادقون لم يكذبوا فيما يحدثون به عن الخلق، أفيكذبون فيما يحدثون به عن الخالق -سبحانه وتعالى-؟ وإذا كان آحادهم يعني النبي -صلى الله عليه وسلم- موصوف بالصدق والأمانة، فإنّ جملته كذلك موصوفون بالصدق والأمانة، فهم صادقون فيما يحدثون به، وهم عند أتباعهم مصدقون.

المشركون لما جاءوا إلى أبي بكر في حادثة الإسراء والمعراج وأرادوا أنْ يسجلوا إيمانه، وقد زلت أقدامهم بعد ثبوتها، قال كلمةً الصادق بعد ذلك أصلًا يتفق عليه كل مؤمن، قال: "**أوقد قال؟ إنْ كان قد قال فقد صدق**".

العبرة عند أهل الإيمان أنْ يقول الرسول، أن يثبت السند أن الرسول قال هذا القول، فإذا قال فإننا نصدقه؛ لأننا نصدقه في الغيبيات، وهذه [١٨:١٣] الرسل [١٨:١٤] كان الإيمان أن نصدقه في الغيبيات، وهم مصدقون أصلًا كما في حديث عبد الله بن مسعود كما قال: "**أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق**"، فهو صادقٌ في كلامه ومصدقٌ في مقاله -عليه وآله الصلاة والسلام-.

فالأنبياء والرسل صادقون ومصدقون بخلاف الذين يقولون عليهم ما لا يعلمون، فالذين يقولون على الله ما لا يعلمون هم من أصحاب الديانات الباطلة، ومن أصحاب الطوائف والملل المنتسبة للإسلام الذين تنقص [١٨:٥٩] هذا الأصل منهم، فهؤلاء عارٌ على الصدق والصحة فيما يقولون؛ لأنه ليس له مستمسك.

كيف يحدثون عن الله -سبحانه وتعالى- فيوجبون له بعض الأسماء وبعض الصفات، وهم أصلًا لم يروا الله -سبحانه وتعالى-، وهم أصلًا لم يحدثهم صادق عن الله، الأشياء الغيبية لا يمكن معرفتها إلا برؤيتها واحد، أو رؤية شبيهها اثنين، أو الخبر الصادق عنها عن هذه الغيبيات، فهم لم يروا الله -سبحانه وتعالى-، ولم يروا ما يشبه الله؛ لأنه لا مثيل له ولا ند ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، ولم يحدثهم صادقٌ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الغيب الله -سبحانه وتعالى-.

فبالتالي من أين لهم مصدر التلقي؟ أطلع الغيب أم [٢٠:١١] عند الرحمن [٢٠:١٣]؟

إذًا إذا كان الرسل صادقون مصدقون، فأهل البدع في باب الأسماء والصفات مجانبون لطريق الرسل؛ لأنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، والقول على الله بغير علم هو آفة أهل الكتابين من قبل، وقد عده الله -سبحانه وتعالى- في الكبائر الضوال العضال الكبرى.

قال الله -جل وعلا-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

لذلك القول على الله بغير علم من إحدى الكبر وأحد الجرائم العظيمة.

قال: (بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ.

وَلِهَذَا قَالَ -سبحانه وتعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]).

يعني بهذا فيما تقدم كله قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾، وسبحان اسم مصدر يدل على التنزيه، فالله -سبحانه وتعالى- ينزه نفسه، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾، وربك أي: يا محمد، والإضافة هنا إلى المخاطب الذي هو النبي -صلى الله عليه وسلم- إضافة تشريف ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ وربك يا محمد هو ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾.

ولما تمت العزة له -سبحانه وتعالى- في كل وجه، العزة في العلو والقدر والغلبة والتمام كان -جل جلاله- منزلًا عما يصفه به الواصفون من صفات النقص، فهو -سبحانه وتعالى- منزل، لذلك من أعظم الذكر سبحان الله، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، وهو من أكثر الأذكار دورانًا على الألسنة؛ لأنّ فيه تنزيه المولى -سبحانه وتعالى-.

وبعد أنْ نزه نفسه سلم -جل جلاله- على المرسلين، سلم عليهم -سبحانه وتعالى- وهو اسمه السلام؛ لسلامة ما جاءوا به، ثم بعد ذلك حمد نفسه فقال: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذه القطعة من الآيات وردت في سورة الصافات التي جاء في أولها عزوف المشركين عن التوحيد ونسبته لله -سبحانه وتعالى- الولد، فنزه الله -سبحانه وتعالى- نفسه، وسلم على المرسلين؛ لأنهم سلموا من النقص ومن العيب، واستلموا أيضًا فيما نقلوه عنه -سبحانه وتعالى-، وسلموا أيضًا في ما اعتقدوه.

فهم سلامهم في سلامٍ في سلام، ثم حمد الله -سبحانه وتعالى- نفسه، والجمع بين الحمد والتسبيح هو لاستدعاء كمال الله -سبحانه وتعالى- أو لوصف الله تعالى بالكمال؛ لأنّ التسبيح يدل على الكمال، لكن هذه الدلالة دلالة التزام، والحمد يدل على التنزيه بالمطابقة ويستلزم الكمال.

فالحمد لله إذا يدل على الكمال بالمطابقة ويستلزم التنزيه، والتنزيه يدل على الكمال بالاستلزام ويدل على التنزيه بالمطابقة التسبيح، فجمع الله -سبحانه وتعالى- لنفسه بين التسبيح يعني تنزيهه عن النقائص، وبين الحمد بأنّ جمع الكمالات كلها -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال شيخ الإسلام: (فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ).

وهذه كلمة عامة يدخل فيها أهل الكتابين، وكل أهل باطلٍ يأتون بما لا تستلزمه أسماء الله وصفاته إلى قيام الساعة، وهذا التسبيح دائم من ذلك إلى قيام الساعة، يعني الله -سبحانه وتعالى- يسبح نفسه حتى عن [٢٥:٢٥] التي ستظهر والتي ربما لم تظهر الآن مما يقول أهل البدع، [٢٥:٣٤] المقالات كما أسلفت واحدة، (فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ).

(وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قال: (لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ).

هنا مسألة يبحثها أهل العلم: المرسلون معصومون فيما يبلغونه عن الله -سبحانه وتعالى- هذا اتفاق محل بين أهل السنَّة، لكن **السؤال: هل يقع من المرسلين خطأٌ أو زلل في تبليغ بعض الآي؟ يعني هل يقع من المرسلين خطأ فيما يبلغون عن رب العالمين؟**

لا يقع، ما الجواب عن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحج:٥٢]؟

الأنبياء والرسل معصومون فيما يبلغون عن الله -سبحانه وتعالى-، وإذا وقع من الشيطان إلقاءٌ لهم فيما يبلغون عن الله، فالعبرة بآخر الأمر أن الله -سبحانه وتعالى- ينسخ أي يلغي ما يلقيه الشيطان عليهم، ثم يحكم آياته، يعني

حتى هذا لو وقع فإنّ الله -سبحانه وتعالى- لا يقره، والأصل أنّ الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن ربهم -سبحانه وتعالى-.

وفي هذا رد على الذين ينفون سحر النبي -عليه الصلاة والسلام- بدعوى أنّنا لو أثبتنا أنه سحر -عليه الصلاة والسلام- لأثبتنا أنه وقع منه حال سحره تبليغٌ عن رب العالمين بما لم يكن، وهذا من أبطل الباطل، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سحر والحديث ثابتٌ في الصحيح، ومع كونه قد سحر إلا أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، ولم يقع في هذه الفترة أنه بلغ عن رب العالمين شيء تحت تأثير السحر؛ لأنه لو وقع وحاشا أن يقع لما أقره الوحي ولا مسكه الله -سبحانه وتعالى-، ثم أتى بآياته، والله عليمٌ حكيم.

قال: (**وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ**).

قاعدة مهمة جدًّا كما بينها العلماء في باب التوحيد كله في قوله: لا إله إلا الله، أنّ لا إله إلا الله [٢٩:٢٩] بين النفي والإثبات نفي الألوهية عن غير الله، وإثبات الألوهية حقًّا لله -سبحانه وتعالى-، فكما وقع ذلك في أصل التوحيد كذلك يقع في فرعه في باب الأسماء والصفات، فإنّ هذا الباب مشتملٌ على ركني النفي والإثبات.

صفات النفي ننفيها عن الله -سبحانه وتعالى-، بالمناسبة الفلاسفة المناطقة المتكلمون يسمونها صفات سلب صفات النفي، وربما صفات إثباتٍ نثبتها لله -تبارك وتعالى-، يعني الله -سبحانه وتعالى- مثلًا يقول: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾[ق:٣٨]، فننفي عن الله -سبحانه وتعالى- اللغوب وهو التعب، ونثبت لله ما أثبته لنفسه إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين مثلًا.

فأثبت لنفسه أنه الرزاق، وأثبت لنفسه أنه ذو القوة، نفى الله -سبحانه وتعالى- عن نفسه الظلم، فقال: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[فصلت:٤٦]، فننفي عن الله -سبحانه وتعالى- هذه الصفة، ونثبت له -تبارك وتعالى- العدل كما قال: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**﴾[الزلزلة:٧-٨] وهكذا.

فباب الأسماء والصفات قائمٌ على النفي والإثبات، ننفي عن الله صفات النقص، ونثبت له صفات الكمال، وسيمر معنا تأصيل هذا؛ لأنّ القاعدة ليست مرسلة هكذا، وإنَّما صفات النقص التي ننفيها عن الله تعالى نثبت كمال الضد، فإذا نفينا عن الله العجز أثبتنا له كمال القوة، وإذا نفينا عن الله السِنة والنوم أثبتنا له كمال الحياة والقيومية، وإذا نفينا عن الله تعالى الظلم أثبتنا له كمال العدل؛ لأنّ النفي المجرد لا يقتضي المدح.

مجرد أنْ نقول: فلان ليس بظالم، ليس بالضرورة أنْ يكون هذا مدحًا، بل قد يكون ذمًا في صورة مدح، كما قال الشاعر:

قُبَيِّلَـــةٌ لَا يَغْـــدِرُونَ بِذِمَّـــةٍ وَلَا يَظْلِمُـونَ النَّـاس حَبَّـةَ خَـرْدَلِ

[٣٢:٤٥] يظهر أنّ هذا مدح، لوكن المتأمل يرى أنّ مصغر القبيلة سماها قُبَيِّلَة، وهذا التصغير في [٣٢:٥٦] من التحقير، فالنفي مجرد ليس مدحًا، ولذلك لا يُقال في مدح الملوك ولا في وكلام الشعراء مثلًا لا يُقال: فلانٌ لا يسرق ولا يزني ولا يأكل أموال النَّاس بالباطل ولا ولا، وإنَّما إذا أرادوا أنْ يمتدحوا شخصًا أثبتوا له الكمالات والصفات والنعوت إلى آخره.

وهنا قد قال أهل العلم: الله –سبحانه وتعالى– إذا نفيت عنه صفة نقصٍ، فإنه يجب أنْ يثبت مكانها كمال ضد هذه الصفة، إذا نفينا عن الله نقصًا فإننا نثبت له كمال الضد، وأنّ كمال الضد لهذه الصفة هو كمال المدح في الصفة المقابلة لها، ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، لتمام حياته وكمال قيوميته –جل وعلا– وهكذا.

قال –رحمه الله–: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ).

لما قرر أنّ المرسلين صادقون فيما يخبرون عن ربهم، مصدقون فيما يخبرون عن ربهم قال: (لاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ)، بخلاف غيرهم فإنهم عدلوا عن طريقة المرسلين إلى سبيل المتكلمين والفلاسفة والمناطقة، أهل السنَّة لا يعدلهم.

لماذا لا يعدلهم؟ لأنّ سبيل الأنبياء والمرسلين هو الصراط المستقيم، الطريق الواضح البين الذي لأهميته نسأل الله تعالى كل يومٍ سبعة عشر مرة في الفرائض فقط [٣٥:١٤] النوافل ونسأله بعد مقدمات الثناء والتحميد والتمجيد أنْ يهدينا إلى هذا الصراط المستقيم، هذا الصراط هو سبيل المرسلين طريق الأنبياء.

يقول الله تعالى في شأن الفاتحة: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**»، والصلاة اسم من أسماء الفاتحة، «**فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:٢]، قال الله: حمِدَني عَبْدي، وإذا قرأ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، قال: أثْنى عليَّ عَبْدي، وإذا قرأ: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال: مجَّدَني عبدي، وإذا قرأ: ﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال: هذا بيني وبينَ عبدي نصفَينِ**».

ثم بعد هذه المقدمات يسأل الله شيئًا واحدًا محددًا وهو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، فهذا يدل على عظم **هذا** الطريق الذي نصرف له قراءة هذه السورة سبع عشرة مرة، ونصرف له هذه المقدمات من المثاني والمحامد حتى نصل إلى هذا المطلوب الأعظم دونًا عن غيره، صراط الذين أنعم الله عليهم، الصراط المستقيم هو الصراط الذين أنعم الله عليهم.

لماذا أفرده هنا مع أنّ الطرق كثيرة؟ لماذا جعله واحدًا؟ جعله واحدًا؛ لأنّ الطرق المتعددة لا توصل إلى الله، هل يأتي بمعنى طرق يعني هو صراط مستقيم، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾[المائدة:١٦]، هنا وصف الطرق بأنها سبل، عندنا الصراط المستقيم واحد كيف يمكن أن [٣٧:١٧]؟

قال الله تعالى في أخرى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩]، فجعلها جمع، جعل هذه السبل جمع، كيف نجمع بين أن الصراط واحد وبين هذه السبل التي ذكر الله؟ كيف يمكن أنْ نجمع؟ نعم، النبي -صلى الله عليه وسلم- هط مرةً خطوطًا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، وجعل على يمينه وعلى يساره خطوطًا وقال: «**هذه السبل وعلى كل سبيلٍ شيطان، فمن حاز على الصراط المستقيم دخل في شيءٍ منها أو [٣٨:١٢] الشياطين**» أو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

حتى لا أطيل عليكم لا إشكال؛ لأنه في الواقع المقصود أنّ هذه السبل هي الطرق والمنافذ التي تؤدي أن تسوق في الطريق الواحد، والصراط المستقيم اختلف كلام أهل العلم في معناه، فمنهم مَن قال: إن الصراط المستقيم هو القرآن، ومنهم مَن قال: الصراط المستقيم هو الإسلام، ومنهم مَن قال: إن الصراط المستقيم هو الرسول، وكلها تصدق على كلها؛ لأن القرآن يدل على الإسلام وعلى الرسول، والرسول يدل على الإسلام وعلى القرآن وهكذا.

قال: (**فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ**).

بدأ يفصل ما هو هذا الصراط المستقيم، وتعريف الصراط هنا بتعريف سالكيه صراط مَن؟ (**صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم**)، واختار الله أنْ يعرفنا به من طريق سالكيه كما في سورة الفاتحة، فمَن هم هؤلاء السالكون؟ هم الذين عناهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩].

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، مَن هم الذين أنعم الله عليهم؟ قال: ﴿ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٤٠:١٠]، ومن أهل العلم مَن قال: الصراط المستقيم هو [٤٠:١٥]١٥ في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم:٥٨].

فإذًا هذا الصراط هو سبيل الأنبياء، وقد عرفنا الأنبياء والرسل القوم الذين بعثهم الله -سبحانه وتعالى- بشريعةٍ، وأمرهم بتبليغ هذه الشريعة، ويليهم الصديقون، والصديقون مبالغة من الصدق، فالصديق أبلغ من الصدوق وهو الذي ألتزم الصدق منهجًا وسلوكًا.

قال الله تعالى في شأن أبي بكر: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[الزمر:٣٣]، فسمي أبو بكر صديقًا لكثرة تصديقه للنبي -عليه الصلاة والسلام-، فالذي جاء بالصدق هو محمد -صلى الله عليه وسلم-، والذي صدق به هو أبو بكر، قال الله تعالى بعد أنْ جمعه: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، فالصديقون سموا بذلك لأنه كمل اتباعهم وصدقهم.

يليهم الشهداء والشهداء سموا بذلك؛ لأن الله شهد لهم، أو لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد لهم، أو لأن الملائكة تشهد لهم بالجنة، أو لأن الملائكة تشهد موتهم وتحضره، وعبارة الشهداء أبلغ من أنْ تكون فقط شهداء المعركة؛ لأن الشهداء منهم شهيد المعركة وهذا معروف، وله أحكامه الخاصة به، والشهداء الآخرين الذين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني لما سأل أصحابه: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»، فذكروا فقط شهيد المعركة، قال: «**إن شهداء أمتي إذاً لقليل**»، وأخذ يعدد عليه -عليه الصلاة والسلام-، فجعل في الشهداء والحريق والغريق والمرأة تموت في الطلق إلى غير ذلك.

وبعض أهل العلم يقول: الشهداء أنواع ولكن هذا في الدنيا والآخرة، وهم الذين يقتلون في المعارك مقبلين غير مدبرين، [٤٣:٠٠] إذا شهده النبي أيضًا -صلى الله عليه وسلم-، وهم شهداء في الآخرة وليسوا شهداء في الدنيا، [٤٣:٠٨] أحكام الشهداء الحريق والغريق والمطعون والمبطون والمقتول، بالمناسبة يدخل في ذلك أصحاب الأمراض [٤٣:١٩] مثل: السرطان أجارني الله وإياكم، فإن هؤلاء كلهم مذكورون [٤٣:٢٥].

وهناك شهيد في الدنيا وليس بشهيدٍ في الآخرة، وهو الذي يظهر للناس أنه شهيد لكنه في علم الله غير ذلك، مثل الذي يقتل كافرًا [٤٣:٤٢] أو الذي [٤٣:٤٤] شيئًا والعياذ بالله، مثل الغلام الذي كان مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فأصابه سهم، ففرح النَّاس وقالوا: هنيئًا له الشهادة، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «**كلا، إن الشملة التي تأخذها من المغانم لتشتعل عليه نارًا**» والعياذ بالله.

إذًا الذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء وهم الصالحون أيضًا، والصالحون هم الذين قاموا بما أوجب الله -سبحانه وتعالى- وانتهوا عما نهاه الله -جل وعلا-.

وبهذا التعريف قد يدخل في عموم هذه العبارة التي يتبادر إلى ذهننا أنه لا يدخل فيها إلا مَن أكثر من الصلاة والصيام والبر والصلاة، قد يدخل فيها الجمع الغفير؛ لأن الحد الأدنى للصلاح هو أن يفعل العبد الواجبات وأنْ ينتهي عن المحرمات.

[٤٤:٥٦] حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: "**يا محمد، أرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ المَكْتُوباتِ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وأَحْلَلْتُ الحَلالَ، وحَرَّمْتُ الحَرامَ، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ فقالَ النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: نَعَمْ، فقالَ: واللَّهِ لا أزِيدُ عليها ولا أنقص إلا [٤٥:٢١]**"، فقال النبيّ -عليه الصلاة والسلام-: «**أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ**»، وفي روايةٍ قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَن سره أن ينظر الى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل**».

والرجل الحقيقة لم يزد على أنْ ذكر الواجبات والانتهاء عن المحرمات دون مزيدٍ عن العمل بل صرح وقال: "**واللَّهِ لا أزِيدُ على ذلك ولا أنقص**"، والحديث فيه تفاصيل [٤٥:٥١] مشكلة عند بعض أهل العلم أنه لم يذكر بعض الواجبات مثلًا البعض يرى أن [٤٥:٥٧] واجب فلم يذكره، الوتر إلى غير ذلك.

فالشاهد: الذي أريد أن أصل إليه أن الصلاح هو أن يكون العبد متقيًا، وأن يكون لله وليًا، يستحق اسم الصلاح، وليس معناه الكثرة الكاثرة من الأعمال، ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾[النساء:٣١]، الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين هؤلاء هم [٤٦:٢٨] للصراط المستقيم.

قال: (**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ**).

قوله: (**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ**)، هذه العبارة موهمة قد يحتمل أنه أراد بها ما ذكره في أول الرسالة حين قال: (**ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه**)، فكأنه يتم هنا ويقول: (**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ**)، يعني من الإيمان بما وصف الله به نفسه ما ذكره في سورة الإخلاص، وقد يُراد القول: أي وقد دخل في هذه الجملة ما ذكره آنفًا؛ ولأنّ أهل السنَّة يجمعون في باب الصفات بين النفي والإثبات، والحقيقة أن السورة التي ذكرها صالحةٌ لهذا وصالحةٌ لهذا والكلام كثير.

قال: (**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَد (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤]**).

وعند شرحنا لكلامه -رحمه الله تعالى- يتبادر أولًا إلى الذهن تسمية هذه السورة بالإخلاص، لم يرد لفظ الإخلاص في هذه السورة، فلماذا سميت بالإخلاص؟

قال أهل العلم: لأنها خلصت في وصف الله -تبارك وتعالى-، فصارت كلها وصفًا لله -عز وجل-، ويدل عليه حديث الرجل الذي كان يخدم صلاته بقراءتها، فذكروا ذلك للنبي -عليه الصلاة والسلام-، فاستجوبه النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: "إنها صفة الله وأنا أحب أن أقرأها"، فأخبره أنّ الله -سبحانه وتعالى- يحبه.

قال: وهذه السورة تعدل ثلث القرآن، ولهذا الكلام لأهل العلم أهل العلم قالوا: تعدل ثلث القرآن؛ لأنّ القرآن عقائد وأحكام وقصص، وهذه السورة اشتملت على صفة العقائد فهي تعدل ثلث القرآن، وبيان أنها ثلث ورد به النص الصحيح كما عند البخاري في [فضائل القرآن] لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قالوا: كيف؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن**».

وفي البخاري أيضًا حديث الرجل الذي كان يردد هذه السورة ويحبها، وأخبره النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّ الله يحبه، ثم قال: «**فالذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**»، وهذا أيضًا يجرنا إلى مسألةٍ جانبيةٍ أخرى: وهي

هل القرآن يتفاضل بعضه عن بعض؟ يعني هل بعض سور القرآن أفضل من بعض، وبعض آيات القرآن أفضل من بعض؟

نعم، بعض سور القرآن أفضل من بعض ولا شك، فالفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله، وسورة الإخلاص هذه أفضل من كثيرٍ من السور، وإن كانت أكبر منها في الكم والعدد، وبعض الآيات أيضًا يتفاضل فآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وهذا أيضًا كذلك يجرنا إلى قضية أخرى وهي: **هل صفات الله تعالى تتفاضل؟**

سؤال: لماذا جرنا الحديث عن التفاضل بين الآيات والسور إلى التفاضل بين صفات الله؟ لماذا جرنا هذا إلى هذا؟ [٠٨:٥١-١٠:٥١] هذا يجرنا إلى أصل وهو أن القرآن كلام الله، وكلام الله صفةٌ من صفاته، فإذا تفاضل بعض كلام الله على البعض، فهذا يجرنا إلى قضية أخرى وهو هل بعض صفات الله أفضل من بعض؟

نقول: نعم، بعض الصفات أفضل من بعض، بدليل قوله: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ**»، وبدليل قوله: «**إنَّ رحمتي سبَقت غضَبي**»، وأهل السنَّة ما عندهم مشكلة في هذه القضية، وإنَّما المشكلة واقعة عند غيرهم؛ لأن إذا [٤٧:٥٢] الانحراف بدأت صغيرة فإنها تتشعب وتنسحب إلى قضايا أخرى، دائمًا إذا فسد الأصل فسدت [٥٧:٥٢] والفروع التي تخرج على هذا الأصل.

الأشاعرة يرون أنّ الصفات لا تتفاضل، قلنا: يا معاشر، الأشاعرة لماذا لا تتفاضل والله تعالى -سبحانه وتعالى- يقول: «**ورحمتي وسعت كل شيء**»، «**إنَّ رحمتي تسبق غضَبي**»، «**إن رحمتي تغلب غضبي**» كما في الحديث، كيف لا تتفاضل هذا النص واضح؟ قالوا: لأن الله قريب وكله أمرٌ واحد [٣٣:٥٣-٣٤:٥٣]، يعني خلاف منهج القرآن طلاسم وفلسفات، **أول شيء**: الله -سبحانه وتعالى- لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، حتى كلمة قديم يعني إذا كان من باب الإخبار فتكون في معنى الأول الذي ليس قبله شيء، أما أن [٥٧:٥٣] له اسمًا لم يسمِ به نفسه هذا لا نقبله.

ثانيًا: من الذي قال: أن الأول الذي ليس قبله شيء يكون أمره كالشيء واحد؟ الذي لا يتفاضل بعضه على البعض، ما الدليل على هذا؟ لا شيء إلا ما يزعمون أن العقل يمنع [١٨:٥٤].

قال -رحمه الله تعالى-: (**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَد (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]**).

فسنأتي إلى تفسيرٍ ميسرٍ لهذه السورة في المجلس القادم، ثم نتم كلامه -رحمه الله تعالى- بعده حيث يقول: (**وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]**).

طبعًا شيخ الإسلام شرع هنا في بيان الآيات العظيمة التي ذكرت صفات المولى -سبحانه وتعالى- [٥٥:١٣] إلى على ما كان قد [٥٥:١٦] بكلامٍ مرسل، أما أننا نثبت لله فأثبته لنفسه، الآن يدلل بالآيات التي أثبت الله فيها لنفسه الأسماء والصفات، وهذا -كما ذكرنا في المقدمة- من أعظم ما يميز هذه الرسالة العظيمة وهي كثرة الاستشهاد بالقرآن، والاستشهاد بالقرآن هنا لضرب أصول القوم الذين ليس عندهم [٥٥:٤٨].

القارئ لكتب أهل الكلام والمناطقة والمنتسبين إلى الإسلام من الجهمية وغيرهم لم نجد متونهم نصوصًا، وإنَّما سنجد مقدمات ومخرجات ومزندقات وهكذا، شيخ الإسلام هنا ملأ هذه الرسالة بالآيات والأحاديث التي تدلل على صدق ما قال إلى الدرس القادم.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أنْ يعلمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا هدًى وبصيرةً وعلمًا، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، الحمد لله أولًا وآخرًا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله.

تم إلقاؤه يوم السبت ٣ ربيع الثاني ١٤٤١ هـ الموافق ٢٠١٩\١١\٣٠